حقيقة الإيمان

المبحث الأول

تعريف الإيمان

تعريف الإيمان في اللغة: مطلق التصديق [١] .

وفي الشرع: عرفه الفضيل بن عياض بقوله: (الإيمان المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والتفضيل بالعمل) [٢] .

وروى اللالكائي بإسناده عن سفيان بن سعيد الثوري أنه قال: (الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السُّنَّة) [٣] .

وعن البخاري قال: كتبتُ عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمَّن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمَّن قال: الإيمان قول [٤] .

قال الإمام ابن جرير الطبري في كتابه (التبصير في معالم الدين) حاكياً مذهب أهل السُّنَّة في الإيمان: فقال بعضهم: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار

---

(١) هذا الكلام فيه نظر، فليس كل مصدِّق مؤمناً، ففرعون كان على يقين من أن موسى عليه السلام رسول، ولكنه ما آمن به، وكذلك أبو لهب كان يعلم يقيناً أن محمداً ﷺ رسول؛ ولكنه لم يؤمن به، وكذا أبو جهل، والأمثلة على ذلك كثيرة، بداية من إبليس وحتى قيام الساعة، وسيتضح ذلك بالمتابعة فتنبه. ولمزيد إيضاح حول الفرق بين التصديق والإيمان راجع كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٧ / ٣٥٠- ٣٥٣ ، ١٠ / ١٧٠، ١٧١ .

(٢) رواه عنه عبد الله بن أحمد باسناده في كتاب السُّنَّة ١٧٥ برقم ٧٤١ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة برقم ٣١٤ .

(٤) المرجع السابق برقم ١٥٩٧ .

باللسان، وعمل بالجوارح، فمن أتى بمعنيين من هذه المعاني الثلاثة ولم يأت بالثالث فغير جائز أن يقال إنه مؤمن، ولكنه يقال له : إن كان اللذان أتى بهما المعرفة بالقلب والإقرار باللسان وهو مفرط في العمل فمسلم [١] .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي في كتابه الاعتقاد باب القول في الإيمان : قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[الأنفال : ٢-٤] .

فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب، وبعضها باللسان، وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال، وفيما ذكر الله في الأعمال تنبيه على مالم يذكره، وذهب أكثر أهل الحديث إلى أن الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها [٢] .

وقال الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني الملقب "بقوام السُّنَّة "في كتابه (الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة) : (الإيمان في الشرع عبارة عن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة) [٣] .

وعرَّفه الإمام الراغب : (بأنه إذعان النفس بالحق على سبيل التصديق وذلك بإجماع ثلاثة أشياء : تصديق القلب ، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح وفقاً للتصديق والإقرار) [٤] .

---

(١) التبصير في معالم الدين ص ١٨٨، ١٨٩ نقلاً من قراءة نقدية ص ٤٥ .

(٢) نقلاً من السابق ص ٥٧، ٥٨ .

(٣) نقلاً من السابق ص ٥٩ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٦ .

وقال ابن القيم: (الإيمان حقيقة مركبة [١] من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه، والدعوة إليه بحسب الإمكان) [٢].

وعرَّفه الألوسي بأنه: (التصديق بما عُلم مجيء النَّبي ﷺ به ضرورة، تفصيلاً فيما عُلم تفصيلاً، وإجمالاً فيما عُلم إجمالاً، وهذا مذهب جمهور المحققين)[٣].

وقال صاحب المنار: (الإيمان هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها) [٤].

والملاحظ في هذه التعريفات، أن بعضها قد اقتصر على بيان الحد الأدني من الإيمان دون التعرض لمقتضيات الإيمان ومكملاته وثمراته، وتوسع بعضها في تفصيل ذلك، وبالأدق فكل هذه التعريفات تدور حول تعريف الإيمان الشرعي.

وأياً كان التعريف يتناول لفظ الإيمان عموماً، أم الإيمان الشرعي، فلابد أن نعرف أن الإيمان بأمر معين [٥]، هو منتهى جملة مراحل أو خطوات مترتبة على

---

(١) هذه اللفظة يجب أن نقف معها وقفة مهمة، لأن البعض فهم منها أن الإيمان المطلق كتلة واحدة لا تتجزأ، وبالتالي إذا زال منها جزء زال ذلك الكل، ولما كان عمل الجوارح من الإيمان فمن ترك العمل فهو عندهم كافر، وطائفة أخرى نفت هذه اللفظة بالكلية هروباً مما وقعت فيه الفئة الأولى، وأخرجت العمل من الإيمان، وبالتالي من ترك العمل ليس بكافر، بل ناقص الإيمان، وما أظن أن ابن القيم قصد ما ذهب إليه أولئك أو هؤلاء، فالذي يقرأ كلامه إلى نهايته يعرف أنه يقصد أن الإيمان شُعب، والإيمان بكل شُعْبة من شُعَبه حقيقة مركبة من علم وتصديق ويقين وقبول ومحبة وانقياد وإخلاص، وهذا بإذن الله ما ساجتهد في إيضاحه لك من خلال هذه السطور.

ولزاماً علىَّ أن ألفت انتباهك جيداً إلى انه لكي تتفهم حقيقة الإيمان، عليك ان تعرف ان الإيمان من الكليات التي تأخذ جزئياتها نفس صفاتها، و أنه مركب من شعب، وكل شُعْبة من شُعَبه يُطلق عليها إيمان، وما ينطبق على شُعْبة واحدة ينطبق على سائر الشُعب ومن ثم ينطبق على الكل.

(٢) الفوائد لابن القيم ص ١٤٧ .

(٣) روح المعاني للالوسي ١ / ٢٥٦ .

(٤) تفسير المنار ١ / ٣٢٦ .

(٥) المقصد بكلمة أمر معين معناها العام: وهو كل أمر تم إدراكه على حقيقته، والخاص: إذا كان في الشرع وبخاصة فيما يخص الإيمان فيُسمى شُعْبة، فمثلاً إماطة الأذى عن الطريق، أو صلة الرحم، أمور لكل منها مفهوم محدد، ولكنها إذا نُسبت إلى الإيمان فهي شُعْبة من شُعب الإيمان، لذا وجب التنبيه.

بعضها البعض كحبات عِقْد، فتُسلم الأولى إلى التي تليها، وترتكز الأخرى على سابقتها، ولا ينفك أولها عن آخرها، وتتداخل فيما بينها، ولابد لمن أطلق لنفسه العنان، وشهد لها بالإيمان، أن يمر بهذه المراحل، سواءً شعر بذلك أم لم يشعر، علم بذلك أم لم يعلم، فإن اجتمعت من أولها إلى آخرها سُمى صاحبها مؤمناً بهذا الأمر، وإن لم تُستكمل؛ كان صاحبها ناقص الإيمان بهذا الأمر، أو غير مؤمن به، أو إيمانه به ضعيف، وهذه الخطوات هى:

[١] العلم .

[٢] التصديق .

[٣] اليقين .

[٤] القبول .

[٥] المحبة .

[٦] الانقياد.

[٧] الإخلاص.